شاطئ الماس

محمود سالم

شاطئ الماس

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

شاطئ الماس

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٧٥٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
انفجار في المقر السرِّي	١١
أين اختفى «دان»؟	١٧
مفاجأة في الطابق العشرين	٢٣
اللقاء في فندق «إنترا»	٢٩
«دان» يختفي نهائيًّا	٣٥
«دان» يقع عند «الشاطئ الماسي»	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

انفجار في المقر السرِّي

فجأة استيقظ الشياطين على صوت انفجار غريب ... فتح «أحمد» عينيه، ونظر في الساعة، كانت تعلن الواحدة بعد منتصف الليل، انتظر لحظة، لعلَّ استدعاءً يأتيه من رقم «صفر»، إلا أنَّ ذلك لم يحدث، فكَّر لحظة: تُرى ما سرُّ هذا الانفجار؟ إنَّه يبدو قريبًا من المقر السرِّي، إن لم يكن داخله ...

فجأة رنَّ جرس التليفون رنينًا خافتًا، ضغط على زر في جهاز التليفون، فجاءه صوت «عثمان» يقول: هل سمعت هذا الصوت المدوي؟ ...

ردَّ «أحمد»: نعم، لكني لا أعرف أين، ولا كيف حدث ...

سأل «عثمان»: ألم يصلك استدعاء من رقم «صفر»؟

ردَّ «أحمد»: لا ... وهذا ما يطمئنني ويجعلني أظنُّ أنَّ الأمر ليس خطيرًا ...

صمت لحظة ثم أضاف: ربما حدث في منطقة الأبحاث ...

قال «عثمان» في التليفون: ألا ينبغي أن نتصل بالزعيم؟ ...

لم يردَّ «أحمد» مباشرة، فقد كان يفكر فعلًا فيما قاله «عثمان». مرة أخرى، جاء صوت «عثمان» يقول: هل ما زلت تفكر؟

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: نعم.

ثم أضاف بعد لحظة: سوف أتصل برقم «صفر».

كان هناك جهاز خاص للاتصال بالزعيم، وهو عبارة عن علبة صغيرة مثبتة في جانب جهاز التليفون، ما إن يضغط عليها حتى يرد عليه الزعيم ... ضغط «أحمد» على العلبة الصغيرة لكن صوت الزعيم لم يصل إليه ...

طافت في ذهن «أحمد» أفكار كثيرة متضاربة، مرة أخرى، ضغط على علبة الاتصال، لكن أحدًا لم يرد. قال في نفسه: ربما يكون الزعيم في مكان آخر ...

غير أنَّه ردَّ على نفسه: إنَّ علبة الاتصال تتصل بالزعيم في أي مكان.

استغرق في التفكير لفترة قليلة، غير أنَّ رنين جرس التليفون قطع عليه تفكيره ...

كان «عثمان» أيضًا هو المتكلم ... سأل: هل اتصلت بالزعيم؟

ردَّ «أحمد» وهو شارد: نعم، غير أنَّه لا يرد.

هتف «عثمان»: ماذا تقول؟! ... كيف لا يرد الزعيم!

همس «أحمد»: لا أدري ... هناك يمرُّ في رأسي أكثر من خاطر.

قال «عثمان» بسرعة: أنا في الطريق إليك!

لم تمرَّ لحظات حتى كان الشياطين جميعًا في غرفة «أحمد» ... كانوا يتساءلون: أين رقم «صفر»؟

لكن أحدًا لم تكن لديه إجابة ... قالت «إلهام»: لا أظن أننا سوف نظل هكذا.

وقالت «زبيدة»: نتصل بسكرتارية الزعيم!

بسرعة، أجرى «أحمد» اتصالًا بسكرتارية الزعيم، غير أنَّ أحدًا منها لم يرد ... نظر إلى الشياطين شاردًا، وهو يهمس: لا أحد.

كانت الدهشة تُغطِّي وجوه الشياطين ... إنَّ ما حدث يدعو للشك ... قال «بو عمير»: نفكر في المسألة منذ بدايتها، حتى نصل إلى ما نريد ...

صمت لحظة، ثم قال: لقد أيقظنا الانفجار.

ثم صمت ... قالت «ريما»: أين حدث الانفجار؟ ... هذه هي نقطة البداية.

قال «عثمان»: أظن أنَّه في مركز الأبحاث، ونحن نعرف أنَّ هناك أبحاثًا تُجرى على نوع معين من الغاز، يمكن أن يشلَّ حركة العدو ... وربما تكون الفرقعة التي حدثت قد جاءت من هناك فعلًا.

ردَّت «إلهام»: هذا احتمال ... وينبغي أن نبدأ البحث منه.

تحرك الشياطين بسرعة، إلى حيث مركز الأبحاث ... الذي كان يقع في مكان بعيد داخل المقر السري، كان الضوء خافتًا في المكان، دقَّ «أحمد» جرسًا، تردَّد صداه خافتًا في الداخل ...

جاءه صوت يسأل: من بالباب؟

ردَّ «أحمد»: المجموعة «ش».

تساءل الصوت: هل هناك حاجة ضرورية؟

ردَّ «أحمد»: ربما تكون ضرورية.

فجأة فُتح باب المركز، لم تكن هذه أول مرة يدخل فيها الشياطين مركز الأبحاث، فمع كل تجربة جديدة يتحقق نجاحها ... يحضر الشياطين تجربة حية أمامهم ... لأنَّهم هم الذين سيستخدمون الأسلحة الجديدة ... كانت خلف الباب مباشرة غرفة مكتب ... وكانوا يعرفون أنَّه لا يمكن الوصول إلى معمل التجارب إلا بعد دخول هذه الغرفة، ولذلك دخلوها الواحد بعد الآخر ...

جاء صوت السيد «س» يقول: أرجو أن تنتظروا قليلًا حتى أتفرَّغ لكم ...

إنَّهم يعرفون السيد «س»، يعرفونه جيدًا، لكنهم لا يعرفون سوى أنَّ اسمه «س» وهو كبير خبراء مركز الأبحاث، كانت الغرفة صغيرة، لا تكاد تتسع لهم ... لكنها شيئًا فشيًا أخذت تتسع حتى تحوَّلت إلى غرفة واسعة تمامًا ... لكن ذلك لم يجعلهم يشعرون بالدهشة ... فهم قد دخلوا الغرفة كثيرًا ... وشاهدوا كيف تتغير مساحتها ... وكيف تتحول من غرفة مكتب إلى قاعة اجتماعات ...

مرَّ بعض الوقت ... كان الشياطين لا يزالون يبحثون في رءوسهم عن مكان رقم «صفر» ... فجأة جاء صوت السيد «س» يقول: تستطيعون مغادرة الغرفة إلى المعمل الآن.

وقف الشياطين، وبدءوا يغادرون الغرفة ... كان «أحمد» يتقدَّمهم ... وكان عليهم أن يقطعوا طرقة طويلة ... ثم ينحرفون إلى طرقة أخرى ... ثم يدخلون غرفة متوسطة، هي غرفة التعقيم، فالمعمل لا يدخله أحد قبل أن يمرَّ على غرفة التعقيم، كان الضوء خافتًا أيضًا ... وهذه سمة من سمات المقر السرِّي ...

عندما انتهت الطرقة الطويلة، فُتح باب على اليمين ... فدخلوا فيه ليقطعوا الطرقة الصغيرة إلى غرفة التعقيم ... فجأة شعر «أحمد» بثقل في قدميه ... نظر إلى الشياطين ... كانوا جميعًا قد تباطأت حركتهم ... والتقت أعينهم، لكن أحدًا منهم لم يسأل، ولم ينطق بكلمة.

فجأة مرة أخرى، بدأت حركتهم تبطئ أكثر ... ولم يستطع أحد منهم أن يفتح فمه ... فلم يكن أيهم يقوى على ذلك، فكَّر «أحمد»: ما الذي حدث؟ وهل يمكن ...؟

لكنه لم يكمل تفكيره ... فقد توقف تفكيره أيضًا ... لم يكن هناك شيء غير عادي في الطرقة ... ولم يشموا رائحة شيء ما ... ولم تتغير الإضاءة فجأة، استند «أحمد» إلى الحائط ... وعندما حرَّك رقبته بصعوبة لينظر إلى الشياطين ... كانوا جميعًا يستندون إلى الحائط، ثم فجأة، بدأ ينزل إلى الأرض ... حتى جلس فوقها ... شعر أنَّ النوم يكاد

يغلبه ... حاول أن يقاوم حتى يظل مستيقظًا، لكنه لم يستطع ... كان رأسه ثقيلًا ... والرغبة في النوم تغلبه تمامًا ... ولم يكن أمامه إلا أن يُغمض عينيه ... لكنَّه في اللحظة الأخيرة استطاع أن يرى الشياطين وكأنهم خيالات تجلس على الأرض ... ثم راح في النوم ...

عندما فتح عينيه ... لم يكن يدري ... كم من الزمن قد مرَّ ... كان يفتح عينيه بصعوبة، ويحرك رقبته بصعوبة أيضًا، لكنه شيئًا فشيئًا بدأ يعود إلى حالته الطبيعية، ورأى الشياطين وهم يُفيقون من نومهم بهدوء ... ثم بدءوا يستعيدون نشاطهم ... كانت الدهشة تملأ وجوههم ...

قالت «إلهام»: يبدو أننا نمنا فترة طويلة ...

ردَّ «قيس»: لا أظن أنَّه وقت قصير.

ابتسم «بو عمير» وقال: كأننا أهل الكهف!

لم يكن «أحمد» يشترك معهم في الحوار، كان يفكر فيما حدث، ليصل إلى نتيجة ما ... فجأة قال «عثمان»: إننا لم ندخل المعمل بعد.

نظر «أحمد» ثم أضاف: ولا تزال المشكلة قائمة.

قال «باسم»: أظن أنني وضعت يدي على السر كله.

نظروا إليه ... كان «أحمد» يفكِّر فيما يمكن أن يطرحه «باسم» الذي نظر إلى «أحمد» مبتسمًا وهو يقول: أظن أننا نفكر بطريقة واحدة.

فجأة، جاء صوت السيد «س» يقول: إنكم لم تدخلوا غرفة التعقيم بعد.

ردت «إلهام»: أظن أننا لم نعد بحاجة إلى تعقيم ... بعد هذه المشكلة الجديدة.

ابتسم «عثمان» وقال: إنَّها ليست مشكلة ... فقد تحدد كل شيء.

فجأة، جاء صوت رقم «صفر» يقول: إنني سعيد أن توصَّلتم إلى النتيجة بهذه السرعة ...

سكت لحظة، ثم أضاف: ينبغي أن تعودوا إلى غرفكم، فلدينا اجتماع في العاشرة صباحًا ...

وهناك مغامرة جديدة في انتظاركم ...

نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم بدءوا يعودون من حيث أتوا، غير أنَّ «ريما» تساءلت: من منكم يعرف سر ما حدث؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنَّ بعض التفكير يؤدي إلى النتيجة، خصوصًا بعد ظهور رقم «صفر».

قالت «ريما»: رأسي لم يعد قادرًا على التفكير.

قال «أحمد»: سوف أوضِّح لكِ كلَّ شيء غدًا.

إلا أنَّ «ريما» لم تستطع الانتظار حتى الغد، ظلَّت تُقلِّب الموقف في رأسها ... وعندما وصل الشياطين إلى منطقة السكن، قالت «ريما»: ينبغي أن أتحدَّث إليك ... إنني لن أستطيع النوم قبل أن أصل إلى الحقيقة.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنني في انتظار مكالمتك.

أخذ طريقه إلى غرفته ... كان يبتسم ابتسامة هادئة ... فقد نجحت التجربة ... وكان هو أول من مرَّ بها ...

وما إن دخل غرفته حتى دقَّ جرس التليفون ... ضغط زرًّا فيه ... فجاء صوت «قيس»: إنَّها تجربة مفيدة ... ومضحكة معًا ... فلأول مرة يحدث هذا للشياطين.

ردَّ «أحمد»: كان ينبغي أن نعرف ذلك من أول لحظة.

قال «قيس»: لم أكن أتصور أن تنتهيَ التجربة بهذه السرعة.

ثم أضاف: أتركك الآن، لنلتقي غدًا، إلى اللقاء!

ضغط «أحمد» الزر، فانتهى الصوت، لكن الرنين تكرَّر مرة أخرى، فعرف أنَّها «ريما»، ضغط الزر، فانساب صوتها، ابتسم «أحمد» وهو يقول: أعتقد أنَّكِ على صواب.

ردَّت: ليس قبل أن أقول لك ما فكرت فيه.

ابتسم مرة أخرى، وهو يقول: ما دمتِ قد فكرتِ فإنَّك على صواب ... إنَّ الشياطين لا يعرفون الخطأ.

قالت: مع ذلك، لا بُدَّ أن تسمع.

ثم صمتت لحظة، فقال «أحمد» وقد بدأ صوته يخفت: إنني أسمع فعلًا.

قالت: أعتقد أنني أستطيع الانتظار للغد ... فيبدو أنَّك في حاجة إلى النوم.

قال مبتسمًا: مع ذلك، فأنا أعرف أنَّكِ لن تنامي، ما الذي توصَّلتِ إليه؟

أخذت «ريما» تشرح له استنتاجها في جمل سريعة قصيرة ... وعندما توقَّفتْ ضحِكَ وهو يقول: ألم أقل لكِ إنَّكِ على صواب!

قالت «ريما»: إذن ... إلى اللقاء غدًا في العاشرة.

ردَّ: إلى اللقاء في المغامرة الجديدة.

ثم ضغط الزر ... عندما تمدَّد في السرير، كان يُفكِّر فيما حدث الليلة ... الانفجار مسألة مقصودة، ثم اختفاء رقم «صفر»، وتعليماته إلى السكرتارية ألا ترد ... ثم ذَهاب

الشياطين إلى مركز الأبحاث. إنَّ المسألة كلها خطة، حتى يجرِّب الشياطين بأنفسهم الغاز الجديد، الذي يشل فاعلية العدو ... دون حاجة إلى مسدسات أو إصابات ...

ابتسم وهو يُغمض عينيه ... ويقول لنفسه: من يدري، ربما تحتاج المغامرة الجديدة لهذا السلاح الجديد ...

ثم غرق في النوم.

أين اختفى «دان»؟

استيقظ الشياطين مبكرًا، فقد كانوا ينتظرون موعد الاجتماع في لهفة، خصوصًا وأنَّ تجربة سلاح الغاز الجديد كانت لا تزال تشغلهم ... أجرَوْا تمارين الصباح ... وتناولوا إفطارهم ... ثم جمعتهم غرفة التلفزيون ... قالت «ريما» مبتسمة: يبدو أنَّ غاز النوم قد أثَّر على تفكيري أمس.

ردَّت «إلهام»: إنَّها عملية مثيرة تمامًا ... لكن هناك ما يشغلني ...

نظروا إليها، في انتظار ما سوف تقوله ... بعد قليل، قالت: لقد تمت تجربة الغاز في مكان ... مغلق ... هذه مسألة عاديَّة ...

صمتت قليلًا، ثم أضافت: هذا يعني أنَّه لا يمكن استخدامه في مكان مفتوح ...

كان السؤال جيدًا ... ولم يردَّ أحد من الشياطين مباشرة ... فقد استغرقوا في البحث عن إجابة ... قال «فهد» بعد قليل: أعتقد أنَّ الغاز يُستخدم في الحالتين ... سواء كان المكان مغلقًا أو كان مفتوحًا ... وربما يعود ذلك إلى درجة تركيزه، ففي الأماكن المغلقة يمكن أن يكون تركيزه أقل.

أضاف «قيس»: أظن أيضًا أنَّ من يستخدمه في الأماكن المفتوحة لا بُدَّ أن يُراعيَ اتجاه الريح، بحيث يجعل اتجاه الريح نحو العدو.

قالت «إلهام»: هذه مجرد أفكار حول إمكانيات الغاز، لكن الحقيقة أننا لا نعرف خصائصه جيدًا.

أضاف «أحمد»: أظن أننا سوف نعرف من نشرة المقر، ومركز الأبحاث، عن طبيعة هذا السلاح، وكيفية استخدامه، فلا يمكن أن نستخدم سلاحًا لا نعرف كل إمكانياته ...

فجأة توقَّفوا عن المناقشة، فقد أعلنت الساعة العاشرة ... كانوا يأخذون طريقهم إلى قاعة الاجتماعات، وما إن دخلوها حتى ازدادت كمية الضوء ... ابتسمت «زبيدة» وهي تقول: لعلها تجربة أخرى، وسلاح جديد.

ابتسم الشياطين، وقال «بو عمير»: لا أظن أننا سوف نكون فئران التجارب في المركز اليوم.

ضحك الشياطين، ثم أخذت ضحكاتهم تعلو أكثر فأكثر، حتى إنَّ «أحمد» أخذ يفكر: هل للضوء تأثير في عملية الضحك هذه؟ إنَّ الشياطين لم يضحكوا بهذه الطريقة من قبل.

ولم يستطع هو الآخر أن يتوقَّف عن الضحك، ولكنه حاول عدة مرات، وبعد مرور عشر دقائق، بدأ الضوء يخفت شيئًا فشيئًا، ومعه كانت ضحكات الشياطين تهدأ، توقَّف الضوء عند درجة معينة، نظر الشياطين إلى بعضهم، وقالت «زبيدة»: أظن أنَّه سلاح جديد فعلًا، إنَّ الضحك بهذه الطريقة يمكن أن يشلَّ فاعلية من يضحك.

ابتسم «أحمد»، وهو يقول: إنَّه اختراع ممتاز، فتصوروا ناسًا يضحكون، ولا يفعلون شيئًا.

فجأة، تردَّد صوت أقدام رقم «صفر»، وعندما توقَّف، رحَّبَ بالشياطين، ثم قال: إنَّكم تمرُّون بمرحلة تجارب فعلًا، ما رأيكم في الاختراع الأخير؟

ردَّت «زبيدة»: إنَّه مسألة مثيرة تمامًا ... لكن ...

قاطعها رقم «صفر»، وهو يقول: إنني أعرف أنَّ لديكم أسئلة كثيرة، وسوف أشرح لكم كل شيء.

صمت لحظة، ثم قال: إنَّ وجهة نظر «فهد» صحيحة تمامًا، فدرجة تركيز الغاز هي التي تحدد مكان استخدامه، وسوف يظهر في شكل كرات صغيرة؛ الأبيض منها درجة تركيزه قليلة، وتُستخدم في الأماكن المغلقة، أمَّا الأحمر فدرجة تركيزه عالية، وتستخدم في الأماكن المفتوحة، وهو شديد التأثير، وسريع أيضًا، والرياح تساعد على درجة تأثيره، ولذلك فإنَّكم تستطيعون استخدامه باطمئنان كامل.

سكت بعض الوقت، ثم قال: أمَّا الضوء فهو يؤثِّر تأثيرًا مباشرًا على مركز الضحك في المخ، وهو لا يُستخدم إلا في الأماكن المغلقة. إنَّه عبارة عن جهاز يُثَبَّت في أي مصدر كهربي، فيرفع درجة الضوء بنسبة يمكن تأثيرها على الإنسان ...

من جديد، سكت مرة أخرى، ثم أضاف: أظن أنَّكم سوف تستخدمونه في مغامرتكم الجديدة؛ لأنَّه سوف يفيدكم أكثر من حَمْل أسلحة كثيرة.

مرة ثالثة، توقَّف، ثم أضاف: أنتم تعرفون أننا نحاول أن نختصر ما تحملونه من أسلحة، حتى تكون حركتكم أسرع، وتأثيركم أقوى.

وتوقَّف رقم «صفر» عن الكلام، كان الشياطين يستمعون إليه، وهم في انتظار الوصول إلى المغامرة، استأنف الزعيم كلامه: إنَّ مغامرتكم الجديدة ليست مع واحدة من العصابات

التي نتصارع معها، والتي نهزمها دائمًا، إنَّها مغامرة قد تبدو بسيطة، ولكنَّها في الحقيقة تحتاج إلى عمل كثير، إنَّ ذكاء الشياطين الحقيقي يظهر في هذه المغامرة، التي سوف نسميها «مغامرة شاطئ الماس».

توقَّف رقم «صفر» عن الكلام، فكَّر «أحمد» في اسم المغامرة، وقال في نفسه: لا بُدَّ أنَّ اسمها يدل على المكان الذي سوف تقع فيه.

في نفس الوقت، كان الشياطين أيضًا يحاولون أن يصلوا إلى طبيعة هذه المغامرة ... فجأة، ظهرت الخريطة الإلكترونية، وكما توقع «أحمد»، ظهرت «هولندا»، وحولها «ألمانيا الغربية» و«بلجيكا»، وفوق «ألمانيا» ظهرت «الدنمارك»، وأسفل «بلجيكا» ظهرت «فرنسا» بمساحتها الواسعة، كانت هذه الدول تقع في الشمال والشرق والجنوب من «هولندا»، أمَّا الغرب فكان يظهر بحر الشمال، وأسفل منه القنال الإنجليزي، وفي مقابل «هولندا» تظهر «بريطانيا». كان الشياطين يتابعون ظهور الدول، الواحدة وراء الأخرى، وعندما تعدَّدت شعروا بالحيرة، فهل يمكن أن تكون المغامرة في هذه المساحة الواسعة جدًّا! فجأة، ظهر سهم في بحر الشمال، ثم رسم دائرة حول «هولندا»، فكَّر الشياطين: إذن، هذه بداية المغامرة، قد تصل إلى دول أخرى، لكن بدايتها سوف تكون داخل هذه الدائرة، التي حدَّدت «هولندا» بالذات.

جاء صوت رقم «صفر» يقول: هذه خريطة عامة ... لكن المسألة وقعت في «هولندا».

صمت لحظة، ثم أضاف: إنَّ أحد الأثرياء العرب تعرَّض لموقف صعب، لقد كلَّفه الموقف أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ...

ثم قال بعد قليل: أعلن أحد تجار الماس أنَّ لدية عدَّة ماسات نادرة، وصلت لتوِّها من جنوب أفريقيا، وهي ماسات لم يتم صقلها بعد، وهي تحتاج بعد ذلك إلى قطع وتجهيز حتى تصبح صالحة للاستعمال، وقدرت الماسات بثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات ... ولأنَّ الثري من هواة الماس، فقد أرسل سكرتيره الخاص، واسمه «دان» لشرائها.

سكت رقم «صفر». نظر الشياطين إلى بعضهم، كان ما يدور في تفكيرهم هو أنَّ «دان» قد اختفى بالملايين ... جاء صوت رقم «صفر»، يقول: في خلال عشر سنوات من العمل معه، ظهر إخلاصه حتى وثق فيه تمامًا.

صمت لحظة، ثم قال: هذه مجموعة من الصور للمدعو «دان»، وهو رجل أمريكي ... وهذه الصورة سوف تفيد بالتأكيد في الوصول إليه ...

من جديد، توقَّف رقم «صفر»، كان الشياطين قد رتبوا أفكارهم ... إلا أنَّ الزعيم قال: اختفى «دان» ... واضطر الثري إلى الاتصال بالبنك السويسري، الذي يضع فيه أمواله،

فعرف أنَّ «دان» قد صرف المبلغ فعلًا ... أجرى اتصالًا بتاجر الماس، فعرف أنَّ «دان» قد اشترى الماس منذ شهر.

توقَّف الزعيم عن الكلام لحظة، ثم أضاف: لقد اتصل الثري العربي بعميلنا في «هولندا»؛ لأنَّ تاجر الماس موجود في «أمستردام» العاصمة، وشرح له الموقف، وقدَّم له كل المعلومات عن «دان».

ثم تساءل رقم «صفر»: أين ذهبَ «دان»؟ ولماذا اشترى الماسَ ثم اختفى؟ ولماذا لم يختفِ بالمبلغ؟ ...

سكت لحظة سريعة، ثم قال: هل يمكن أن يختفيَ «دان» نهائيًّا ... وهل يمكن أن نترك الثري العربي في هذه الحالة؟

مرة أخرى، سكت للحظة سريعة، ثم أضاف: من المؤكد طبعًا أنَّ «دان» لم يبقَ في «أمستردام»، من المؤكد أيضًا أنَّه غادر «هولندا» كلها، لكن ... أين يوجد الآن؟ ... هذا هو السؤال.

فجأة، ترددت إشارات ضوئية، فقال رقم «صفر»: يبدو أنَّ هناك شيئًا جديدًا في الطريق إلينا.

ثم أخذت خطوات رقم «صفر» تبتعد شيئًا فشيئًا، حتى اختفت. قالت «إلهام» بسرعة: إنَّ «دان» يمكن أن يكون في أي مكان من العالم، فلا أحد يعرف أين اختفى ... وهذه هي صعوبة المغامرة.

قال «عثمان»: أعتقد أننا نستطيع أن نحدد مكانه.

تساءلت «إلهام»: كيف؟

ابتسم «عثمان»، وقال: هذه مسألة سوف ندرسها فيما بعد.

ثم نظر إلى «أحمد» الذي كان ينظر إليه، ثم ابتسم، فقال «عثمان»: أظن أنَّك فهمتني.

قال «فهد»: إنَّ القبض على «دان» سوف يكون عن طريق أحد تجَّار الماس، فلا أظن أنَّ «دان» سوف يحتفظ بالماس إلى الأبد، من المؤكد أنَّه سوف يبيعه.

قالت «زبيدة»: ربما يكون هذا صحيحًا، ولكن هل يبيعه الآن، أو أنَّه سينتظر فترة، ثم يبيعه؟

ردَّ «فهد»: الاحتمال الأقوى أنَّه سوف يبيعه بمجرد شرائه، وقبل أن يكتشف الثري اختفاءه وهروبه.

هزَّت «زبيدة» رأسها وهي تقول: هذا احتمال قوي ...

ثم ابتسمت، وأضافت: هذا إذا كان يفكِّر كما تفكِّر!

وضحك الشياطين، لكن خطوات الزعيم كانت قد بدأت تقترب.

فهمست «إلهام»: ربما تكشف المعلومات الجديدة بعض الغموض.

توقفت أقدام رقم «صفر»، ثم قال: عميلنا في «هولندا» أرسل تقريرًا يقول إنَّ الثري قد اتصل به وأخبره أنَّ «دان» قد أرسل إليه رسالة من «بومباي» بالهند، وأنَّه يعتذر لتأخره ... وأنَّه سوف يكون في الطريق إليه.

صمت رقم «صفر» لحظة، ثم قال: أعتقد أنَّ «دان» يريد أن يكسب وقتًا، وهو برسالته إلى الثري يبعد الشك عن نفسه، ويجعله لا يفكر في الإبلاغ عنه، وأظن أنَّ هذه لعبة يلعبها «دان».

سكت قليلًا، ثم أضاف: إنَّ «دان» لم يخرج من أوروبا، هذه حقيقة، وعليكم أن تعرفوا أين هو، وأن نعيد الماس إلى مُواطننا العربي.

انتظر الشياطين تحديد مجموعة المغامرة، وجاء صوت رقم «صفر» يقول: أعتقد أنَّ المغامرة لا تحتاج إلى عدد كبير من الشياطين ... فالصراع كله مع شخص واحد هو «دان»، إلا إذا ظهرت تفاصيل جديدة.

توقَّف لحظة ثم قال: سوف يقوم بالمهمة «أحمد» و«فهد»، على أن يكون بقية الشياطين جاهزين، فمن يدري، قد يكون خلف «دان» آخرون.

ثم سأل: هل هناك أسئلة أخرى؟

وأضاف: سوف تجدون تقريرًا كاملًا بالصورة والمعلومات عن «دان».

ولم ينتظر، فقد أخذت خطواته تبتعد حتى اختفت، في حين كان الشياطين لا يزالون في أماكنهم.

قالت «ريما»: أعتقد أنَّنا يجب أن نطرح المغامرة للمناقشة، قبل رحيل «أحمد» و«فهد»، فالمسألة ليست سهلة، وعملية التحديد ضرورية.

قال «عثمان»: من وجهة نظري، يجب أن تبدأ الحركة من «أمستردام» نفسها، ومن تاجر الماس بالتحديد، بعدها يمكن التحرك إلى أي مكان آخر.

أضاف «باسم»: إنَّ شركات الطيران يمكن أن تكون عاملًا مساعدًا في تحديد الاتجاه ... فإذا كان «دان» قد غادر «أمستردام» فيمكن معرفه اتجاهه، وفي هذه الحالة تكون الحركة محدَّدة أكثر.

قال «مصباح»: يستطيع أن يسافر بجواز سفر مزوَّر، وفي هذه الحالة، سوف يكون من الصعب تحديد الاتجاه.

ظلَّ الشياطين ساعة كاملة يتحاورون. وفي النهاية، قال «أحمد»: لقد حدَّدنا خطوات طيِّبة من خلال المناقشة، وسوف نبدأ كما اتفقنا من «أمستردام»، وبالتحديد من تاجر الماس، وإن كنت أظن أنَّ خطواتنا التالية سوف تكون إلى «بلجيكا»؛ لأنَّها الأكثر شهرةً في قطع الماس وتجهيزه.

وعندما توقَّف، تحرك الجميع يغادرون قاعة الاجتماعات، وعندما وصل «أحمد» إلى غرفته، وجد تقريرًا عن «دان»، ألقى نظرة سريعة عليه، وفجأة جاءه صوت رقم «صفر» يقول: إنَّ مناقشتكم كانت جيدة، واستنتاجكم الأخير هامٌّ جدًّا، وأظن أنَّه الصحيح.

توقَّف لحظة، ثم قال: أتمنى لك ولـ «فهد» التوفيق.

وبسرعة، كان «أحمد» يغادر غرفته، كانت حقيبته تحمل كرات الغاز الجديد، التي قد يحتاج إليها في القبض على «دان».

مفاجأة في الطابق العشرين

تحرَّكت السيارة من المقر السرِّي، يقودها «فهد»، بينما كان «أحمد» يقرأ تقرير رقم «صفر» عن «دان» بصوت مرتفع، كانت أهم النقاط التي ركز عليها «أحمد» عن قراءة التقرير هي أوصاف «دان»، كما يقول التقرير، فإنَّ طوله ١٨٠سم، رشيق القوام، في الخمسين من عمره، يلبس نظارة طبِّية، وسيم، يتحدث عدة لغات، من بينها الإيطالية والإسبانية، شعره كثيف أبيض تمامًا، وليس فيه ما يلفت النظر سوى طوله ووسامته وشعره الأبيض.

قال «فهد» بعد أن استمع لهذه الأوصاف: إنَّه يستطيع أن يصبغ شعره، ويستطيع ألا يكون وسيمًا، ويمكن أن يضع عدسات لاصقة بدلًا من النظارة، كذلك يمكن أن يدَّعيَ أنَّه لا يعرف سوى الإنجليزية مثلًا، أمَّا طوله، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يميزه، ولا يستطيع أن يهرب منه.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: هذه حقيقة، ولو أنَّ الأوروبيين يتميزون كثيرًا بطول القامة، ولهذا فهو يمكن أن يكون شخصًا عاديًّا بينهم، كذلك فإن الأمريكيين لهم نفس القامة الطويلة نوعًا.

عاد «أحمد» يقرأ التقرير مرة أخرى: كان «دان» مُجنَّدًا في القوات المسلحة الأمريكية وهو في سن الثلاثين، لكنَّه هرب من الجيش، واختفى، ولا أحد يدري كيف خرج من أمريكا، ثم ظهر فجأة في «روما»، وعمل مترجمًا في بعض الشركات، ثم في النوادي الليلية، ثم اختفى مرة أخرى، وظهر في عمله الأخير كسكرتير للثري العربي.

توقَّف «أحمد» عن القراءة قليلًا، ألقى نظرة على الطريق الممتد أمامه الذي تقطعه السيارة في سرعة كبيرة، لم يكن شيء يظهر على مد البصر، ليس سوى الرمال الممتدة بلا نهاية ... ووسطها يبدو الشريط الأسفلتي وكأنَّه حية تتلوى عند كل مسافة وأخرى.

عاد من جديد إلى التقرير، وبدأ يقرأ: «دان» ليس هو الاسم الحقيقي، فاسمه الحقيقي «كلارك فان دك». ضحك «فهد» وهو يقول: إذن، فهو لص محترف، ما دام قد هرب من الخدمة الوطنية ... ثم غير اسمه، لقد كان ينتظر اللحظة المناسبة فقط ليضرب ضربته الكبرى ويسرق الملايين الثلاثة والنصف. أعتقد أنَّها خبطة جيدة تستحق أن يقضيَ من أجلها عشر سنوات من عمره في خدمة الثري العربي.

كانت الشمس قد بدأت تميل إلى الغروب، وبدأت ألوان الأشياء تتغير، تبعًا لتغيُّر لون الشمس، أغلق «أحمد» التقرير وشرد، كان يفكر في «دان»، أو «كلارك فان دك»، وهذا اسمه الحقيقي. وكان يقلِّب الموقف في رأسه، ويعيد تفكيره في «بلجيكا»، إنَّه يعرف من خلال قراءته أنَّ أحسن مصانع الماس موجودة فيها، ومن المؤكد أنَّه لن يبقى في «هولندا»، وأنَّه سوف يذهب إلى «بلجيكا»، حيث يستطيع أن يصقل الماسات التي يحملها، بل إنَّه يستطيع أن يبيعها هناك، دون أن يلفت ذلك نظر أحد، خصوصًا وأنَّه يتمتع بمظهر طيب.

قطع «فهد» شروده، وهو يقول: لا تسبق الأحداث، إننا نستطيع أن نقلب الدنيا، وأن نجده في النهاية، إنَّ «كلارك فان دك»، أو «دان» لن يستطيع الإفلات منَّا.

ثم ضحك وأضاف: أظنه قد أصبح الآن «هربرت روكي» أو «جون بلاك»، أو أي اسم آخر، فمن يجرؤ على تغيير اسمه مرَّة يمكن أن يغيره بعد ذلك كثيرًا.

تنَّهد «أحمد» وهو يقول: هذا صحيح.

أكمل «فهد»: ولا تنسَ أنَّ عصابات التزوير منتشرة في أوروبا ... وهو يستطيع أن يحصل على أوراق رسميَّة مزورة باسم جديد.

هزَّ «أحمد» رأسه موافقًا، قال: أعرف، أعرف أيضًا أنَّه يمكن أن يغيِّر ملامحه بأي عملية جراحية، وفي هذه الحالة يصبح من الصعب العثور عليه.

ابتسم «فهد»، وقال: ومع ذلك، سوف نجده إن شاء الله.

كان الغروب قد بدأ يغطي الكون، ومن بعيد، لمعت أضواء المطار، نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: لقد وصلنا في الوقت المناسب.

عندما توقَّفت السيارة عند باب المطار، غادراها بسرعة، وأخذا طريقهما إلى الداخل، وكعادة «أحمد»، أخذ طريقه إلى بائع الجرائد، حيث اشترى جرائد اليوم، وجرت عيناه بسرعة على مجموعة الكتب، لكنَّه لم يختر واحدًا منها، لكن عينيه وقعتا على مجلة «لوك»، فقرأ على غلافها عنوانًا لموضوع داخلي، وكان العنوان هو السبب في أنَّه اشترى المجلة.

كان الموضوع هو «صناعة الماس»، وبسرعة عاد إلى حيث يقف «فهد»، يلقي بعينيه نظرة فاحصة بين الكثيرين الذين يزحمون قاعة الانتظار الخارجية، ولم تمضِ دقائق حتى كان صوت مذيعة المطار يدعو الركاب للرحلة ٥٨٤ المتجهة إلى «هولندا».

وفي دقائق، كان «أحمد» و«فهد» يمرَّان إلى قلب الطائرة، التي كانت تقف على أرض المطار، وكأنَّها حيوان خرافي، مرت دقائق أخرى، ودارت المحركات ثم أخذت طريقها إلى الفضاء، كانت الطائرة كاملة العدد، وكان «أحمد» يجلس في الثلث الأول منها، بينما «فهد» يجلس في ثلثها الأخير.

كان «أحمد» قد استغرق في القراءة، منذ أن جلس في مقعده، حتى إنه لم يلتفت إلى الجالس بجواره ... لم يعرف إن كان شابًّا، أو شيخًا ... آنسة، أو رجلًا، أو سيدة ... لكنَّه استطاع أن يحدِّد ذلك من خلال عبير «البارفان»، الذي شمَّ رائحته، فعرف أنَّ سيدةً بجواره ... لكنه مع ذلك لم يلتفت إليها ... كان التحقيق الصحفي عن صناعة الماس قد استغرقه تمامًا ... ولقد ذكر التحقيق أنَّ «بلجيكا» تُعتبر من أوائل الدول في صناعة الماس، وتوقَّف عند معلومة سريعة في التحقيق تقول إنَّ أحد الصنَّاع المهرة في تقطيع الماس وصقله يوجد في مدينة «أوستند».

أخرج خريطة صغيرة من حقيبته السحرية، ثم بحث عن «بلجيكا»، وظلَّ يجري بإصبعه بحثًا عن مدينة «أوستند» حتى وصل إلى مضيق «روفر»، حيث وجد مدينة «أوستند» الساحلية، التي تقع على المضيق، شيء ما جعله يشعر بالراحة، وكأنَّ عثوره على مدينة «أوستند» هو نفسه العثور على «دان».

فجأة قطع تفكيره صوت السيدة الجالسة بجواره، تقول: هل أنت مهتم بالماس إلى هذه الدرجة؟

نظر لها، كانت سيدة متقدمة في السن، وجهها يوحي بالراحة، أنيقة، تلمع عدة ماسات على صدرها ويدها، ابتسمت وقالت: هذه ليست ماسات حقيقية، فالماس الحقيقي لا يمكن السفر به ...

ثم ضحكت ضحكة صغيرة، وأضافت: هل معقول أن تسافر بثروة مكشوفة وظاهرة؟

ابتسم «أحمد»، وقال: لا أظن، ولو حدث فإنني أحتاج إلى حراسة.

ضحكت السيدة، وقالت: إنني أحتفظ بماستين كبيرتين في بنك «أمستردام»، اشتريتهما من تاجر في مدينة «أوستند» البلجيكية.

اهتم «أحمد» بحديث السيدة التي لاحظت ذلك، فقالت: هل تعرفه؟

قال «أحمد»: ليس بعد، ولكني في طريقي للتعرف عليه.

سألت: هل سوف تشتري ماسًا من عنده؟

ثم أضافت بسرعة: إنَّه لا يتاجر في الماس، إنَّه يقوم بتقطيعه وصقله، ولكن قد يعرض أحد عليه شراء ماسة، فيقوم هو بالوساطة بين صاحبها ومشتريها.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: يبدو أنَّ سيدتي تعرفه جيدًا.

ابتسمت وأجابت: نعم ... إنني أعرفه منذ زمن بعيد، وقد تقدَّم الآن في السن كثيرًا، إنَّه يعتبر من أمهر صناع الماس في العالم ...

قال «أحمد»: هل أطمع في توصية منكِ له؟

ضحكت ضحكة عالية صغيرة آسرة، وهي تقول: في عالم التجارة لا توجد توصيات.

ثم فتحت حقيبة يدها، وأخرجت كارتًا، وقلمًا، ثم كتبت عدَّة كلمات سريعة، وقدمت الكارت لـ «أحمد» قائلة: سوف يهتم بك، فنحن أصدقاء.

قال «أحمد» مبتسمًا: إنني حتى الآن، لا أعرف اسمه.

قالت: «جاك جرين»، وأنا أناديه «جاكي»، إنَّه رجل ودود ولطيف، تمامًا كالماس الذي يعمل فيه.

لقد قرأ «أحمد» اسم «جاك جرين» في التحقيق الصحفي، لكنَّه أخفى ذلك، فربما يستطيع أن يحصل من السيدة على أشياءَ أخرى ومعلومات تفيده، وظلَّت السيدة تتحدث وكأنَّها كانت تريد أن تتسلَّى أثناء الطريق، وحتى عندما أعلنت مذيعة الطائرة أنَّهم يقتربون من مطار «أمستردام» لم تتوقف السيدة عن الكلام، لقد توقَّفت فقط عندما توقَّفت الطائرة على أرض المطار، ودَّعها «أحمد»، وشكر لها المعلومات القيِّمة، وتوصيتها لـ «جاك جرين»، وعندما غادر المطار هو و«فهد»، كان يشعر بالتعب، فقد ثرثرت السيدة كثيرًا أثناء الطريق.

أسرع «فهد» و«أحمد» إلى سيارة الشياطين التي كانت في انتظارهما، والتي أرسلها عميل رقم «صفر». جلس «فهد» إلى عجلة القيادة، وبدأ «أحمد» يحكي في إيجاز ما عرفه من السيدة. قال «فهد»: إنَّ قاعدة الشياطين تُثبت دائمًا نجاحها، لقد حصلت على معلومات هامة، كان يمكن أن تستغرق منَّا وقتًا.

وصمت «أحمد»، كان يشعر بالرغبة في النوم، فقال: أتمنى أن أصل إلى السرير الآن.

كانت الساعة تقترب من الثانية صباحًا ... فقال «فهد»: إننا في الطريق إلى فندق «هيلتون»، حسب رسالة العميل.

أغمض «أحمد» عينيه، واستغرق في النوم، بينما كان «فهد» يقود السيارة بسرعة، ولم يستيقظ «أحمد» إلا عندما توقفت السيارة أمام الفندق، فتح عينيه، ثم قال: لقد نمت.

ابتسم «فهد»، وهو يقول: ولهذا لم أزعجك، يبدو أنَّك متعَبٌ تمامًا!

أخذا طريقهما إلى الداخل، واتجه «فهد» إلى الاستعلامات، حيث حصل على مفتاحين لغرفتين، ثم اتجها إلى حيث المصعد، استند «أحمد» إلى الحائط، فقد كان متعبًا فعلًا، وصل المصعد فدخلاه، ثم صعِدا إلى الطابق العشرين، وعندما توقَّف وفُتح الباب، خرجا، لكنهما فجأة توقَّفا، فقد دخل المصعد رجل له أوصاف «دان».

ثم هبط بالمصعد، قال «فهد» في دهشة: إنَّه «دان»!

ردَّ «أحمد»: هل تظن؟

قال «فهد»: بالتأكيد. الشعر الأبيض، القامة الفارعة، النظارة. إنَّه لم يُغيِّر من نفسه.

انطلق «أحمد» إلى السلالم جريًا؛ فقد كان المصعد الآخر مشغولًا، هتف «فهد»: كيف ننزل عشرين طابَقًا؟! ثم إنَّه سيكون قد انصرف عندما نصل!

توقَّف «أحمد» وهو يقول: إنَّها فرصتنا.

قال «فهد»: ليس إلى هذه الدرجة، فنحن لم نتأكد منه جيدًا، وإن كانت صورته تكاد تكون حقيقية.

ثم أضاف بسرعة: أظن أنَّه سوف يجلس في المطعم مثلًا، فأين يذهب في هذه الساعة؟! كانا في تلك اللحظة يقفان في الطابق الثامن عشر، أمام باب المصعد في انتظار أن يصل، وما إن فُتح الباب حتى نزل رجلان، واستمرَّ المصعد في الصعود، كانا يراقبان أرقام الطوابق حتى الطابق الثلاثين، ثم أخذ المصعد يهبط حتى توقَّف عندهما مرة أخرى، وعندما فُتح الباب دخلا بسرعة، فضغط «فهد» زر الطابق الأرضي، وفي خلال دقائق كان المصعد يقف ويُفتح الباب، خرجا بسرعة، لكن إلى أين يمكن أن يذهبا؟ أسرعا إلى صالة الفندق، وأخذت أعينهما تدور بين الموجودين، لكن الرجل لم يكن بينهم. فجأة، قال «فهد»: انظر إلى الباب.

أسرع «أحمد» بالنظر إلى الباب، كان الرجل يخرج منه، أسرعا خلفه، حتى تجاوزا الباب، لكنَّهما لم يجدا شيئًا، لكنهما شاهدا سيارة أجرة تغادر المكان.

قال «أحمد»: يمكن أن نسأل في استعلامات الفندق.

عادا إلى الاستعلامات، وسألا عن «كلارك فان دك»، أخذ الموظف يقلِّب في الدفتر أمامه، ثم قال: لا يوجد أحد بهذا الاسم.

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: هل يمكن أن نعرف أسماء نزلاء الطابق العشرين؟

أخذ الموظف يبحث معهما عن اسم «كلارك فان دك»، لكنهم لم يجدوه، شكرا الموظف ثم اتجها إلى المصعد مرة أخرى.

قال «فهد»: المؤكد أنَّه يتحرك باسم مختلف.

ولم يكن أمامها إلا الانتظار للصباح؛ لقد ضاعت منهما فرصة سوف تكلِّفهما جهدًا كبيرًا.

اللقاء في فندق «إنترا»

تمدَّد «أحمد» على السرير، لكنه لم يستطع النوم، كانت صورة «دان» تلمع في ذاكرته، قال لنفسه: يمكن أن يكون هو.

فجأة دقَّ جرس التليفون، نظر له لحظة وهو يقول لنفسه: لا بُدَّ أنَّه «فهد»، فلا أظن أنَّ عميل رقم «صفر» يمكن أن يحدثني الآن.

رفع سماعة التليفون، فجاء صوت «فهد» يقول: ينبغي أن تنام، فأمامنا عمل كثير في الغد.

ردَّ «أحمد»: سوف أفعل ذلك فعلًا، إلى اللقاء!

وضع السماعة، ثم أخذ يُجهِّز نفسه للنوم، حتى استغرق فيه. وفي الصباح كان ينهض من الفراش نشيطًا تمامًا، أجرى بعض التمارين الرياضية، فجأة فُتح الباب، ودخل «فهد»، كان يبدو جادًّا، وقال بسرعة: لقد انصرف لتوِّه.

نظر له «أحمد» باهتمام، وقال: تقصد «دان»؟

ردَّ «فهد»: نعم، إنَّه يتحرك باسم «روبرت هول».

سأل «أحمد»: كيف عرفت؟

ردَّ «فهد»: نزلت مبكرًا إلى صالة الفندق، فقد تصورت أنَّه عاد مرة أخرى أمس بعد أن رأيناه، لقد كنت أريد أن أتأكد، وفي اللحظة التي وصلت فيها، كان يغادر الفندق فعلًا ... ومع الأسف، لم تكن معه سوى حقيبة صغيرة ... استقلَّ سيارة وانصرف، عدت إلى الاستعلامات وسألت عنه، فعرفت أنَّه قد ترك الفندق اليوم، وأنَّه في طريقه إلى المطار، ثم عرفت تفاصيل جواز سفره من سجل الفندق، وعرفت أنَّ اسمه الجديد هو «روبرت هول».

كان «أحمد» يفكر، بينما قال «فهد»: هل سنبقى هنا؟

ردَّ «أحمد» في هدوء: سوف نتصرف على مهل، إنني أعرف الآن جيدًا أين سنتجه.

قال «فهد» بسرعة: تعتقد ... أنَّه سوف يذهب إلى «بروكسل»؟

ردَّ «أحمد»: نعم، وسوف يصل إلى «أوستند»، وإلى «جاك جرين» بالتحديد.

ابتسم «فهد»، وقال: إنَّك تتحدث وكأنَّه سوف ينفذ أوامرك.

فجأة، أسرع «أحمد» إلى التليفون، وتحدث إلى العميل، طلب منه أن يتأكد من أنَّ «دان» في المطار الآن، وأي طائرة سوف يستقل، وفي النهاية قال: إنني سوف أنتظر مكالمتك في الفندق.

ثم وضع السماعة. نظر إلى «فهد» وقال: سوف نعطيه فرصة الوصول إلى «أوستند» وإلى «جاك جرين»، وهناك سوف ينتهي كل شيء.

ردَّ «فهد»: هل تظن أنَّه سوف يتصرَّف كما تفكر أنت تمامًا؟

قال «أحمد»: نعم، إنَّ «بروكسل» عاصمة كبيرة، وهو سوف يبحث عن مكان بعيد ... وأظن أنَّ مدينة «أوستند» سوف تكون هي هذا المكان.

مرَّت لحظة قبل أن يقول «فهد»: أظن أننا سوف نفقد أثره.

انتهى «أحمد» من ارتداء ثيابه، ثم طلب الفطور في الغرفة، في انتظار مكالمة عميل رقم «صفر»، التي لم تتأخر كثيرًا، فعندما انتهى من تناول الإفطار كان جرس التليفون يرن، رفع «أحمد» السماعة بسرعة، فجاءه صوت العميل يقول: إنَّ الطائرة في طريقها إلى «بروكسل».

ابتسم «أحمد»، ونظر إلى «فهد»، ثم قال للعميل: ينبغي أن نسافر اليوم.

قال العميل: سوف أحاول.

انتظر لحظة، ثم أضاف: يجب التوجه إلى المطار، فربما وجدنا أماكن على نفس الطائرة.

بسرعة، أخذ «أحمد» و«فهد» يستعدان لمغادرة الفندق، ثم أخذا طريقهما إلى المطار، خلال الطريق، أعطى تابلوه السيارة إشارة ضوئية، ثم جاء صوت العميل يقول: سوف تسافران على نفس الطائرة.

شكره «أحمد»، وقال «فهد» في سعادة: لقد وقع الصيد.

عندما وصلا إلى المطار، أسرعا بالدخول، فجأة وقعت عينا «فهد» على «دان»، كان يقف وهو يقرأ في صحيفة، حتى إنَّه لم يرَ أحدًا ... ابتسم «فهد»، وقال: هذا هو الصيد.

ردَّ «أحمد»: سوف تكون لُعبة جيدة، فهو لا يعرفنا، ونحن نعرفه.

مرَّت دقائق، ثم تردَّد صوت مذيع المطار، يدعو الركاب المسافرين إلى «بروكسل» لركوب الطائرة، كان «أحمد» و«فهد» يشعران بالراحة؛ فهما الآن يحكمان كل شيء، أخذا

مكانيهما في الطائرة، كان «دان» يجلس في مقعده وحده، ولم تكن الطائرة كاملة العدد، ولذلك فإنَّ حرِّية التنقل بين مقاعدها كانت سهلة، أخذ «فهد» مكانًا في المقدمة، وأخذ «أحمد» مكانًا خلف «دان» بطريقة تجعله تحت عينيه دائمًا. بعد قليل أخذت الطائرة طريقها إلى الفضاء ... فكَّر «أحمد» وهو يبتسم: الآن لا يستطيع السيد «دان» أن يهرب، فنحن جميعًا معلَّقون في الفضاء.

ألقى نظرة في اتجاه «فهد»، فوجده مستغرقًا في القراءة ... قال «أحمد» لنفسه: هل أعقد صداقة مع «دان»؟ إنَّ التحقيق الصحفي عن الماس يصلح بدايةً لحديثي معه ...

انتظر لحظة، ثم قال في نفسه مرة أخرى: ينبغي ألا يعرفني، حتى لا يشك ... خاصة وأننا نقوم بمتابعته عن بعد ... حتى نصل إلى الماس، وهذه هي الطريقة الصحيحة.

ولذلك لم يتحرك «أحمد» من مكانه، فقط كان يُلقي نظرةً بين لحظة وأخرى على «دان» الذي أغمض عينيه، ويبدو أنَّه استغرق في النوم.

فكَّر «أحمد»: ما الذي جعل «دان» لا يُغيِّر شكله؟ وما الذي أخَّره هذه المدة كلها دون أن يتصرف في الماس، أو دون أن يقوم بتصنيعه.

انتظر لحظة، ثم قال في نفسه مرة أخرى: لا بُدَّ أنَّ له أفكارًا خاصة.

مدَّ «أحمد» يده وأخذ جريدة واستغرق في القراءة، لم تكن الرحلة طويلة، ولذلك استعد للتحرُّك عندما سمع صوت مذيعة الطائرة تقول: اربطوا الأحزمة؛ فسوف نهبط في مطار «بروكسل» بعد قليل.

نظر في اتجاه «فهد»، فرآه ينظر إليه، تبادلا الابتسامة وبعض الإشارات السريعة، حتى يتفقا على الخطوات التالية، بعد ربع ساعة، هبطت الطائرة في مطار «بروكسل» ... كان «فهد» قد سبق «دان» بعدة خطوات، وكان «أحمد» خلفه، وكان يبدو وكأنَّه وقع في «كماشة»، لا يستطيع منها فكاكًا ...

عند باب المطار كان «أحمد» قد استعدَّ للخطوة التالية ... فقد اقترب من «دان»، الذي كان ينظر إلى تاكسي، ورشَّ بودرة خاصة على ظهر «دان»، ثم وقف بعيدًا عنه قليلًا، كان «فهد» يراقب حركة «أحمد»، وعندما اقترب التاكسي، واستقلَّه «دان»، كان «أحمد» و«فهد» يقفزان في سيارة الشياطين، التي كانت في انتظارهما، قال «فهد» ضاحكًا: لقد وقع «دان» نهائيًّا.

أخرج «أحمد» جهاز الاستقبال الصغير من جيبه، ثم ضغط زرًّا فيه، فلمعت لمبة حمراء ... قال: إنَّ البودرة تُعطي إشارات صحيحة.

ابتسم «فهد»، وقال: ربما يستبدل «الجاكيت» ونفقد أثره.

ردَّ «أحمد»: لا أظن، فهو لا يحمل حقيبة كبيرة، كل ما يحمله هذه الحقيبة الصغيرة، والتي لا تضم إلا احتياجاته الصغيرة.

كان تاكسي «دان» يسير في المقدمة، وخلفه سيارة الشياطين، وبعد فترة ... وصل إلى فندق كبير، قرأ «أحمد» لافتة معلقة تحمل اسمه، وهو فندق «إنترا»، نزل «دان» من التاكسي، وكذلك «أحمد» و«فهد»، حيث عادا إلى السيارة ... ودخلا الفندق، اتجه «أحمد» إلى الاستعلامات، وطلب غرفة مزدوجة، وعندما كان «دان» يملأ استمارة الفندق، استطاع «أحمد» أن يقرأ اسمه «روبرت هول»، أخفى ضحكة كادت تُفلت منه. فكَّر بسرعة: إنَّ حقيبة «دان» بجانبي الآن، وهذه فرصة حتى لا يُفلت منا ... في هدوء، أخرج من جيبه البودرة، ثم مسح بيده على جانب الحقيبة، بينما كان يبدو «دان» مستغرقًا تمامًا في ملء استمارة الفندق، انتهى «دان» ثم أخذ مفتاحه وانصرف، تبعه «فهد» بنظراته ... كان «دان» يتجه إلى المصعد، انضم «أحمد» إلى «فهد»، وقال: إنَّه ينزل في الغرفة المقابلة لنا تمامًا.

ابتسم «فهد»، وقال: ليس هذا هو المهم، إنَّ المهم أنَّك تصرَّفت بطريقة رائعة، عندما وضعت البودرة المشعَّة على الحقيبة، إنَّه لن يستطيع أن يختفيَ بعيدًا عنَّا، إلا إذا تخلَّص من الحقيبة، وأظن أنَّه لن يفعل ذلك.

أخذا طريقهما إلى غرفتهما، وعندما وصلا إليها ألقى «فهد» نظرة على غرفة «دان»، وكانت تحمل الرقم ٣٨، فجأة ظهر «دان»، كان يحمل حقيبته، واتجه إلى المصعد مباشرة، دخل «أحمد» و«فهد» حجرتهما، وبسرعة أخرج جهاز الاستقبال، وضغط الزر، فجاءت الإشارة الحمراء، لحظة، ثم ظهرت إشارة أخرى، كانت هناك إشارة متحركة، وإشارة ثابتة، ابتسم «أحمد» وقال: لقد استقرت الحقيبة في مكان.

أضاف «فهد»: ربما يكون قد حفظها في أمانات الفندق خوفًا عليها، فهي تحمل ثروته كلها.

قال «أحمد»: هذا هو الاحتمال الصحيح!

اقترح «فهد»: لماذا لا ننزل إلى صالة الفندق، أو الكافيتيريا، حتى يمكننا أن نستمتع بمراقبته.

فجأة تحركت إحدى الإشارتين، فقال «أحمد»: لقد تحرك الآن إلى مكان ما.

توقفت الإشارة، فقال «أحمد»: هيَّا بنا!

نزلا بسرعة إلى صالة الفندق، لكن «دان» لم يكن موجودًا، أخذا طريقهما إلى الكافيتيريا، فوجداه هناك، كان يجلس وحده في مكان منعزل، بجوار نافذة، وقد فتح أمامه إحدى المجلات.

فكَّر «أحمد»: لعلها مجلة «لوك».

أخذا مكانًا يعطيهما فرصة مراقبته، ثم طلبا قهوة باللبن ... مرَّ بعض الوقت، كان «دان» مستغرقًا في القراءة، فجأة، غيَّر من طريقة جلوسه، ورفع المجلة أمام عينيه، كاد «أحمد» يضحك، ولكنَّه كتم ضحكته في نفسه، قال «فهد» متسائلًا: هل هناك ما يُضحك؟

ردَّ «أحمد»: لقد توقعت أن تكون المجلة التي يحملها هي مجلة «لوك»، وجاء توقُّعي صحيحًا.

فجأة، أغلق «دان» المجلة، ثم غادر الكافيتيريا، نظر «أحمد» إلى «فهد»، وقال: هل نتبعه؟

قال «فهد»: لا أظن أننا في حاجة إلى ذلك، فالحقيبة في الأمانات، وسوف يعود إليها ... كما أنَّه لا يستطيع أن يُفلت منَّا، فالبودرة المشعة تكشف مكانه.

ظلَّا في الكافيتيريا بعض الوقت، ثم غادراها إلى غرفتهما. أخرج «أحمد» جهاز الاستقبال ... وضغط الزر ليرى أين يوجد «دان» الآن ... أعطى الجهاز إشارتين ثابتتين، قال «أحمد»: يبدو أنَّ «دان» قد استقر في مكان ما.

فكَّر «فهد» قليلًا، ثم قال: أخشى أن يُفلت منَّا.

بعد لحظة، تساءل «أحمد»: هل تظن ذلك؟

أجاب «فهد»: كل شيء جائز.

كان الوقت قد اقترب من المساء، ضغط «أحمد» زر الجهاز، فأعطى إشارة ثابتة، وأخرى متحركة. فجأة توقفت الإشارة الثابتة.

قال «فهد» بسرعة: يجب أن نتحرك؛ من المؤكد أنَّ شيئًا ما يحدث.

أسرعا بالخروج من الفندق، جلس «فهد» خلف عجلة القيادة، وكان «أحمد» يمسك بجهازه ... أخذت سيارة الشياطين طريقها إلى حيث تظهر العلامة الثابتة، قادهما البحث إلى محل يبيع الملابس المستعملة، نظرا إلى بعضهما، وهمس «فهد»: هل يكون قد تخلَّص من البدلة؟

دخلا المحل، كانت هناك ملابس كثيرة مُعلَّقة، وكان رجل عجوز يقوم بتنظيف بدلة ما ... وقعت عينا «أحمد» عليها، لقد كانت هي نفسها بدلة «دان»، نظر إلى «فهد» وقال: لقد اختفى «دان».

قال الرجل العجوز: ماذا تريدان؟ إنَّ عندي ملابس جيدة، وبسعر رخيص.

اقترب «أحمد» منه، وسأل: من صاحب هذه البدلة؟

قال الرجل: لا أدري، لقد باعها لي عامل يشتغل في أحد محلات بيع الملابس.

همس «فهد»: ينبغي أن نلحق بالفندق؛ حتى لا نفقد كل شيء مرة أخرى.

وعندما انطلقت السيارة بسرعة في اتجاه فندق «إنترا»، كان السؤال الذي يتردد في ذهن «أحمد»: هل يمكن أن يترك الحقيبة أيضًا؟

«دان» يختفي نهائيًّا

كانت سيارة الشياطين تقطع الطريق إلى فندق «إنترا» بسرعة، في الوقت الذي يتابع «أحمد» إشارات الجهاز، كانت الإشارة لا تزال ثابتة، أمَّا الإشارة الأخرى فقد ألغاها، قال وهو ينظر إلى «فهد»: إنَّ الحقيبة لا تزال في مكانها.

وصلا إلى الفندق، واتجها مباشرة إلى المطعم، فقد كان ذلك وقت العشاء ... توقَّعا أن يجدا «دان»، إلا أنَّه لم يكن موجودًا، جلسا يتناولان عشاءهما، كان الموقف الآن يبدو غامضًا تمامًا، فكَّر «أحمد»: إنَّ «دان» يتصرف بطريقة ذكية، ويبدو أنَّهما سوف يفقدان أثره ...

كان يضع جهازًا للاستقبال أمامه، ويتابع الإشارة الثابتة التي يستقبلها الجهاز، قال «فهد»: هذا الرجل يُفكِّر بطريقة مثيرة.

لم يردَّ «أحمد»، كان شارد الفكر. فجأة ظهر رجل طويل القامة على باب المطعم، كان أشقر الشعر، يتصرف بطريقة واثقة، وقد أمسك سيجارًا ضخمًا في يده، ووقف في باب المطعم، وهو يمسح بعينيه المكان، ثم أخذ طريقه إلى منضدة منفردة وجلس، لفت نظر «فهد» للحظة سريعة، ثم نسيَه على الفور، إلا أنَّ «أحمد» نظر إلى الرجل بإمعان، كان يفكر: هل يمكن أن يكون هذا الرجل هو نفسه «دان»؟ إنَّه يمكن أن يصبغ شعره، وهذه مسألة سهلة، ربما يكون قد تخلَّى عن النظارة الطبيَّة ... واستخدم عدسات لاصقة، وربما تكون العدسات عنده منذ فترة.

ظلَّ يدير المسألة في ذهنه، ثم قال لـ «فهد»: هل رأيت الرجل الجالس هناك جيدًا؟

ظهرت الدهشة على وجه «فهد»، وتساءل: ماذا تقصد؟

قال «أحمد»: لقد اتفقنا على أنَّ «دان» يمكن أن يُغيِّر كل شيء، حتى ملامحه، لكن الشيء الوحيد الذي لا يستطيعه فهو طوله.

ردَّ «فهد» بسرعة: لقد اتفقنا أيضًا على أنَّ القامات الطويلة منتشرة في أوروبا وأمريكا ...

تنهَّد «أحمد» وشرد قليلًا، كان يتذكر «دان» وهو يمشي، كانت خطوته قصيرة سريعة ... لا تتفق مع طوله، وكان هذا يبدو لافتًا للنظر، شرح لـ «فهد» وجهة نظره، فقال: ملاحظة ذكية ... وسوف نرى عندما يتحرك.

كان الرجل يأكل عشاءه في هدوء، وتظهر على وجهه ابتسامة عريضة، ولم يكن يمضغ طعامه بسرعة، لكنه فجأة ترك العشاء، ثم استدعى الجرسون، ودفع الحساب ...

قال «فهد»: إنَّه نزيل الفندق، فلماذا يدفع فاتورة الحساب الآن؟

انتظر «أحمد» لحظة، قبل أن يقول: أظن ذلك تكملة لما يفعله.

سكت لحظة، ثم أضاف: أعتقد أنَّه مزيد من الاطمئنان إلى أنَّ أحدًا لن يعرفه.

خرج الرجل من المطعم، كان «أحمد» قد أسرع خلفه، ووقف بجواره، طلب الرجل غرفة للمبيت ليلة واحدة، وعندما قدَّم له الموظف استمارة الفندق ليكتب فيها البيانات، ألقى «أحمد» نظرة سريعة، واستطاع أن يقرأ اسمه «جراند أف فيل» ... فكَّر «أحمد» بسرعة، ثم قال لموظف الاستعلامات: هل يوجد طيران داخلي إلى «أوستند»؟

نظر له الرجل بسرعة وابتسم، في حين قال الموظف: نعم يا سيدي.

سأل «أحمد»: متى تسافر أول طائرة إلى هناك؟

ابتسم الرجل مرة أخرى، وقال: هل أنت ذاهب إلى «أوستند»؟

ردَّ «أحمد»: نعم يا سيدي.

قال الرجل: الطائرة غدًا في العاشرة، إنني أيضًا ذاهب إليها، إنَّها مدينة ساحرة.

شكره «أحمد» وهو يقول: إنَّها مدينة الماس، كما قرأت.

هزَّ الرجل رأسه، وهو يقول: ليست المدينة، ولكن الرجل.

كان «أحمد» يتفحَّص الرجلَ جيدًا، وكانت إجابات الرجل تُوحِي بالدهشة، قال «أحمد» مبتسمًا: أي رجل يا سيدي؟

– آه ... إنَّك لم تسمع عنه.

انتظر لحظة، ثم قال: هل قرأت مجلة «لوك» هذا الأسبوع؟

ردَّ «أحمد»: لا يا سيدي، وما علاقة «لوك» بـ «أوستند»؟

ضحك الرجل ضحكة صغيرة، ثم أجاب: إذا كنت تريد أن تعرف أهمية المدينة فاقرأ المجلة.

ثم رفع يده بالتحية، وأخذ مفتاحه وانصرف، كان «أحمد» يتابع مشيته، في نفس الوقت، كان «فهد» يفعل نفس الشيء، وكان ما ملأهما بالأسف أنَّ الرجل كان يمشي ببطء، وبخطوة واسعة، على عكس «دان» تمامًا، صعِد «أحمد» و«فهد» إلى حجرتهما، كانت الحيرة في أعينهما، شرح «أحمد» لـ «فهد» حديث الرجل إليه، ثم قال في النهاية: إنَّ ذكره لمجلة «لوك» يجعلني أشك فيه أكثر.

قال «فهد»: ربما تكون مصادفة، إنَّ فرصتنا الوحيدة الآن أن يعود «دان» لأخذ الحقيبة.

ثم أضاف، بعد لحظة: لو كان هذا الرجل هو «دان» ما أتى إلى الفندق، كان يمكن أن يذهب إلى فندق آخر.

قال «أحمد»: والحقيبة؟

فكَّر «فهد» قليلًا، ثم قال: قد تكون لعبة أخرى.

سأل «أحمد»: ولماذا كل هذه الألعاب؟

أجاب «فهد»: المؤكد أنَّه يحسب خطواته جيدًا ... ويعرف أنَّ الثري العربي سوف يرسل خلفه العيون أو يتصل بالشرطة، أو يتصل بالزعيم، كما حدث.

صمت «أحمد» قليلًا، ثم قال: كل هذا ممكن.

صمت لحظة أخرى، ثم أضاف: إنَّ الفرصة الأخيرة هي «جاك جرين».

أعلنت الساعة العاشرة مساءً ... نظر «أحمد» إلى «فهد»، وقال: ينبغي أن ننزل إلى صالة الفندق حتى نكون قريبين.

نزلا بسرعة، وجلسا في الصالة ... كان الجهاز في جيب «أحمد» لا يزال يعطي الإشارة الثابتة الحمراء ... وكان هذا يعني أنَّ الحقيبة في مكانها ... فكَّر «أحمد»: هل يمكن الوصول إلى الحقيبة؟

نظر إلى «فهد»، وطرح عليه السؤال. فكَّر «فهد» قليلًا، ثم قال: أظن أنَّها مسألة صعبة.

غير أنَّ «أحمد» كان يفكِّر في طريقة أخرى، أنَّ الوصول إلى الحقيبة هي الخطوة الأخيرة في المغامرة كلها. قال لـ «فهد»: سوف نصل إلى الحقيبة.

نظر له «فهد» في دهشة، وتساءل: كيف نهاجم خزينة الأمانات؟

ابتسم «أحمد»، وقال: سوف ترى ... هيَّا بنا.

اتجها إلى موظف الاستعلامات ... ألقى «أحمد» عليه تحية المساء ... ثم قال: يبدو أنَّ في الفندق أسلحة سرِّية.

نظر له الموظف في دهشة، وهو يقول: أسلحة سرِّية ... ماذا تقصد؟

قال «أحمد» بجدِّية: أظن أنَّ انفجارًا سوف يحدث ... إنَّ إحدى الحقائب عندكم فيها شيء غير عادي.

سأل الموظف في فزع: ما الذي يجعلك تقول ذلك؟

قال «أحمد»: إنَّ لديَّ معلومات تقول ذلك.

سأل الموظف: ومن أين لك بهذه المعلومات؟

قال «أحمد»: دون الدخول في تفاصيل ... أرجو أن تطمئنوا على خزينة الأمانات.

قال الموظف بسرعة: ليس فيها شيء ... سوى حقيبة صغيرة لأحد النزلاء.

سأل «أحمد»: أين هو؟

ردَّ الموظف بسرعة: في الخارج، ولم يعد بعد.

قال «أحمد»: هذا أدعى لأن تبحثوا الأمر بجدِّية.

ثم أضاف بسرعة: هل تأكدت من محتويات الحقيبة؟

ردَّ الموظف: نعم ... إنَّها مجرد أوراق خاصة.

سأل «أحمد» بجدية: هل أنت متأكد؟

ردَّ: نعم ... فأنا الذي تسلَّمتُها.

هزَّ «أحمد» رأسه، وهو يقول: أرجو أن تعيد النظر فيها مرة أخرى.

ظهر الفزع على وجه الموظف، ثم أجرى اتصالًا سريعًا ... ولم تمضِ دقائق حتى كان عدد من رجال الأمن يدخلون بسرعة ... شرح لهم الموظف ما قاله «أحمد»، فاتجهوا إليه ... وفي النهاية اتجهوا إلى خزانة الأمانات ... أخرج أحدهم جهازًا للكشف عن المتفجرات ... غير أنَّ الجهاز لم يسجل شيئًا ... ظهرت الدهشة على وجه «أحمد» وقال في نفسه: إذن لقد ترك «دان» الحقيبة خالية إلا من بعض الأوراق.

في نفس اللحظة، قال رجل الأمن في حدَّة: أرجو أن تصحبَني إلى المكتب ... فقد أزعجت الفندق وسلطات الأمن ببلاغ كاذب!

أخرج «أحمد» من جيبه بطاقة صغيرة، ما إن رآها رجل الأمن حتى ابتسم قائلًا: كانت حيلة إذن ... أرجو أن تكون قد حقَّقت ما تريد! ثم حيَّاه وانصرف.

وقف «أحمد» و«فهد» في جانب الصالة ... كان كلُّ شيء قد أصبح غامضًا ... اختفى «دان»، واختفى الماس أيضًا ... ولم تكن الحقيبة إلا خدعة ... مرة أخرى، أبدى «أحمد» دهشته: لماذا يفعل «دان» ذلك؟

وأجاب «فهد»: إنَّ اللصَّ يتصور دائمًا أنَّ الناس يعرفون أنَّه لصٌّ، ولذلك يحاول أن يتخفَّى، وقد نجح «دان» في ذلك ... وأثبت أنَّه لصٌّ حقيقي!

سكت لحظة، ثم قال: إنَّ «جاك جرين» لا يزال فرصتنا الأخيرة، وأظن أنَّها ستكون ناجحة هذه المرة.

صعِدا إلى غرفتهما ... كان يبدو أنَّ المغامرة سوف تفشل ... ألقى «أحمد» نفسه فوق السرير، واستغرق في التفكير ... كان يُعيد حساباته في كل ما حدث من جديد ... يريد أن يعرف أين نقطة الخطأ؟ نظر إلى «فهد»، وقال: لقد أخطأنا بالتأكيد ... تصوَّرنا أنَّ «دان» وقع في أيدينا، وكان ذلك ثقة زائدة منَّا.

سكت لحظة، ثم أضاف: أعتقد أنَّ هذا هو الغرور ... ولو كنا قد تتبعنا «دان» لكانت المغامرة قد حققت هدفها تمامًا.

لم يردَّ «فهد» مباشرة ... فقال «أحمد»: ما رأيك؟

ردَّ «فهد»: رأيي أنَّ المغامرة لم تنتهِ بعد ... وأظن أنَّ استنتاجك بذهاب «دان» إلى «أوستند» صحيح مائة في المائة ... لقد أراد «دان» فقط ... أن يثبت لنفسه أنَّه قادر على التخفِّي ... وقد تكون هذه مرحلة أولى، ثم يختفَّى بعد ذلك نهائيًّا.

صمت لحظة، ثم قال: إنَّ «دان» سوف يصل إلى «جاك جرين» بملامحه العادية ... وعندما يحصل على الماسات مصنعة ومصقولة، سوف يقوم بتغيير ملامحه، كخطوة نهائية ... ليكون بعيدًا عن أعين وأيدي الجميع.

هزَّ «أحمد» رأسه، وهو يقول: إنني معك في هذا التحليل ... وأعتقد أنَّه الصواب.

سكت لحظة ... ثم أضاف: موعدنا غدًا في العاشرة ... لتكون رحلتنا الأخيرة، وخطوتنا النهائية للقبض على «دان».

ثم أغمض عينيه ... وراح في النوم ...

«دان» يقع عند «الشاطئ الماسي»

«دان» يقع عند الشاطئ الماسي.

في الصباح، استيقظ «أحمد» و«فهد» في نشاط ... كانت أحداث الليلة الماضية قد جعلتهما أكثر رغبة في البحث والحركة ... فلا يمكن أن يُفلت منهما «دان»، ولن تفشل المغامرة بأي حال، كانت الساعة تُشير إلى السابعة تمامًا ... وكان أمامها وقت طويل ... غير أنَّ «فهد»، قال: أقترح أن نأخذ طريقنا إلى المطار الآن ... إنني لم أعد أرغب في البقاء هنا.

ردَّ «أحمد»: موافق ... ومن يدري، لعل «دان» يكون على نفس الطائرة.

تناولا إفطارهما ... ثم غادرا الفندق ... وعند الباب، شاهدا الرجل الأشقر ... نظر إليهما مبتسمًا ... ثم هزَّ رأسه يُحيِّي «أحمد» ... ردَّ «أحمد» التحية ... فكَّر بسرعة: هل أدعوه للذهاب معنا؟

نظر إلى «فهد»، وقال: ما رأيك ... هل ندعوه؟

قال «فهد»: فكرة طيبة، ومن يدري، لعلنا نجد عنده من المعلومات ما يمكن أن تفيدنا!

اقترب «أحمد» منه بسرعة ... وقال: هل تنتظر تاكسيًا؟

ردَّ الرجل: سوف أطلب من يستدعيه.

قال «أحمد»: هل تقبل دعوتنا؟ إنَّ لدينا سيارة، ونحن ذاهبان ... صديقي وأنا ... إلى المطار.

ابتسم الرجل، وهو يقول: إنَّه كرم منك أن تفعل ذلك ... وسوف يسعدني بالتأكيد أن أكون في صحبتكما، خصوصًا وأنَّك تقول إنَّك ذاهب إلى «أوستند» مثلي ...

ثم أضاف بسرعة: هذا إذا لم يكن ذلك يضايقكما!

قال «أحمد» مبتسمًا: إنَّ ذلك سوف يسعدنا فعلًا.

كان «فهد» قد اقترب بالسيارة منهما ... فتح «أحمد» الباب الأمامي وهو يدعوه للركوب ... فقال الرجل: دعني أُقدِّم نفسي لكما ... اسمي «جان ديماس» ...

كاد وجه «أحمد» أن يفضحه ... فإنَّ اسم «جان» قريب من اسم «دان»، لكنه استطاع هو و«فهد» أن يُخفيا دهشتهما ... ثم أضاف الرجل: سوف أجلس في الخلف.

ابتسم «أحمد»، وقال: لن تكون مستريحًا على المقعد الخلفي.

فهم الرجل ما يقصده «أحمد»، فضحك ضحكة عالية وهو يقول: هذا صحيح ... وأشكرك!

جلس «جان» بجوار «فهد»، وجلس «أحمد» في المقعد الخلفي ... وعندما انطلقت السيارة قال «جان ديماس»: إنني من هواة الماس، أقوم برحلات متعدِّدة إلى أفريقيا، حيث أشتري الماس الخام من جنوب أفريقيا ... إنني أستطيع أن أحصل عليه بثمن رخيص ... في «بلجيكا» ... يجيدون تجهيزه وتصنيعه.

توقَّف لحظة، ثم قال: هل أنتما من هواة الماس؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: لا ... ولكننا نُعِدُّ كتابًا عن صُنَّاع الماس ... وقد لفت نظري ذلك التحقيق الذي ذكرته في مجلة «لوك» ...

التفت الرجل إلى «أحمد» سعيدًا، وهو يقول: هل قرأته؟

قال «أحمد»: نعم ... ولقد أثارني ذلك الرجل الماهر الذي يُدعى «جاك جرين» المقيم في «أوستند»، وهذه الرحلة من أجله.

ضحك «جان ديماس»، وهو يقول: صديقي «جاك جرين» إنني أعرفه منذ سنوات طويلة ... إنَّه عبقري ... له يدان كيدَي عازف ماهر ... سوف أوصيه أن يساعدكما كثيرًا!

كان «فهد» يستمع إلى الحوار الدائر بين «أحمد» و«جان ديماس»، وهو يكاد يصرخ من الفرح ... هل يمكن أن يكون «جان ديماس» هو نفسه «دان» سارق الماس؟

كانت السيارة تتقدم ببطء ... نظر «جان ديماس» في ساعة يده، ثم قال: إنَّ الوقت لا يزال مبكرًا، هل أدعوكما إلى فنجان قهوة في أحد مقاهي المدينة قبل أن نرحل؟

ثم سأل بسرعة: على فكرة، إنني لم أتعرف عليكما بعد.

ردَّ «أحمد» بسرعة: أُدعى «سترونج» وصديقي يُدعى «برايت».

قال «جان ديماس» بسعادة: سعيد بكما ... من أين أنتما؟

أجاب «أحمد»: من مدريد في إسبانيا.

ظهرت الدهشة على وجه «جان ديماس» وهو يقول: نعم ... نعم ... إن لكما ملامح الإسبان فعلًا ... وأنتما تتحدثان الإنجليزية بطلاقة ... أنتما صحفيان؟

ردَّ «أحمد»: نعم!

قال «جان ديماس»: رائع، إنني أميل إلى الصحفيين كثيرًا.

ثم أضاف: لقد زرت بلادكم ... مع صديق عربي ... كان يهوى إسبانيا ... كان دائمًا يقول إنَّ إسبانيا بلادنا ...

ثم ضحك ضحكة عالية ... كان «أحمد» يشعر أنَّه يقترب من «دان» الحقيقي كثيرًا ... فكل هذه التفاصيل التي يذكرها تدل على أنَّه هو ... مع ذلك ظلَّت بعض الشكوك، تركها «أحمد» حتى اللقاء في «أوستند» ... قال «جان ديماس»: يبدو أنَّكما لا تريدان البقاء في «بروكسل» ... لا بأس ... نستطيع أن نأخذ القهوة في المطار ... إنني أحب دائمًا أن أكون هناك قبل إقلاع الطائرة بوقت كافٍ.

أخذ «فهد» يرفع من سرعة السيارة ... ولا يدري ... لماذا يفعل ذلك ... كان وكأنَّه يريد أن ينتهيَ من كل شيء الآن ... يريد أن يقفز مرة واحدة فيكون في «أوستند» ... ثم عند «جاك جرين». كان يتمنى أن يمدَّ يده ويقبض على «دان»، أن يصرخ في وجهه: ألست أنت «كلارك فان دك»؟ ألست «روبرت هول»؟! ... ألست «جراند أف فيل»؟! ... ألست أنت سارق الماس؟! ... وخائن سيدك الثري العربي؟! ...

أخيرًا ... ظهر المطار، فقال «جان ديماس»: أرجو ألا نفترق، فسوف نقضي أيامًا جميلة في «أوستند»، ودعاني أوجِّه الدعوة لكما لتكونا في ضيافتي.

تحدَّث «فهد» لأول مرة، قال: إننا لا ندري أي ظروف سعيدة تلك التي جعلتنا نلقاك يا سيد «جان ديماس»، إننا فعلًا في حاجة شديدة إليك.

ثم ضحك ضحكة صغيرة، وهو يضيف: ليس من أجل الدعوة ... ولكن من أجل صحبتك الرائعة!

ابتسم «جان ديماس»، وهو يقول: إنَّك متحدث جيد يا عزيزي «برايت».

توقَّفت السيارة أمام المطار، فنزلوا جميعًا، وأخذوا طريقهم إليه ... قال «جان ديماس»: فلنبدأ صداقتنا بالقهوة إذن.

ثم غرق في الضحك ...

اتجهوا إلى كافيتيريا المطار ... وطلب «جان» ثلاثة أكواب من القهوة باللبن ... وعندما أحضرها الجرسون، رفع كوبه، وقال: في صحة صديقيَّ العزيزين: «سترونج» و«برايت»!

قال «أحمد»: في صحة صديقنا العزيز «جان ديماس»!

عندما أخذ «أحمد» يرشف رشفة من القهوة الساخنة ... كان يقول لنفسه: هل هو «دان» الحقيقي؟ ...

وإذا كان هو، فإنني لا أكاد أصدِّق نفسي ... إنَّ هذه أظرف مغامرة يدخلها الشياطين ...

مضى الوقت وهم يتحدثون ... كان «جان ديماس» يبدو سعيدًا جدًّا، واثقًا ... وكان «أحمد» و«فهد» يتبادلان نظرات سريعة ... وعندما حان الوقت، غادروا الكافيتيريا إلى الطائرة ...

عندما دقَّت الساعة العاشرة تمامًا، كانت الطائرة تتحرك، وهي تغادر مطار «بروكسل» في طريقها إلى مدينة «أوستند»، كان «أحمد» يجلس بجوار «جان ديماس»، بينما «فهد» كان يجلس خلفهما، كان «فهد» يفكر: إنَّ لقاء «جاك جرين» سوف يكشف كل شيء ... فما دام يعرفه من زمن، فإنَّه بالتالي سوف يقول كل الحقائق عنه.

كانت الرحلة من «بروكسل» إلى «أوستند» تستغرق ساعة ونصفًا، بعد حوالي نصف ساعة، أسلم «فهد» نفسه للنوم، ففي الفضاء لا يستطيع أحد أن يفعل شيئًا ... ولا يستطيع «جان ديماس» أن يختفي ...

أما «أحمد» فإنه بعد حديث قصير مع «جان ديماس» أخرج مجلة «لوك» ثم بدأ يقرأ فيها.

كان «جان ديماس» ينظر إلى المجلة في يد «أحمد» ويعلِّق بين وقت وآخر بكلمات قصيرة سريعة ... ثم في النهاية ... ألقى نظرة من النافذة ... واستغرق في التفكير، كان «أحمد» يُلقي نظرة سريعة على وجه «جان ديماس» محاولًا أن يصل إلى حقيقة هذا الرجل الذي لا يزال مشكوكًا فيه حتى الآن ... استعاد «أحمد» صورة «دان» في ذاكرته ... وكان لا يزال يحتفظ بها في جيبه ... فجأة قام من مكانه ... واتجه إلى مؤخرة الطائرة ... ثم اختفى داخل الحمام ... أخرج صورة «دان» وأمعن النظر فيها ... خطوط وجهه، استقامة أنفه، شفتاه الرقيقتان ... عيناه اللتان يبدو فيهما المرح والخبث معًا ... ثم أخرى لـ «دان» ومعه الثري العربي ... ظلَّ ينظر إليهما جيدًا ... ثم أعادهما إلى جيبه وخرج، وبدأ يقترب من «جان ديماس» في هدوء ... وكان «جان ديماس» لا يزال مستغرقًا في التفكير ... جلس ... وأخذ يختلس النظر إلى وجه «جان ديماس» ... إنَّها نفس الخطوط ... الذقن، والشفتين، والأنف ... قال في نفسه: إنَّه لم يغيِّر كثيرًا في نفسه ... لون شعره الأبيض الذي أصبح أشقرَ يميل إلى البني، والنظارة الطبية التي خلعها ...

توقَّف عن التفكير لحظة ... ثم قال لنفسه ... إنَّه يقرأ جيدًا بدون نظارة طبية ... وهذا يعني إمَّا أنَّه «دان» فعلًا ويضع عدسات لاصقة ... وإمَّا أنَّه ليس «دان» بالمرَّة.

كانت الطائرة قد اقتربت من مطار «أوستند»، فتح «فهد» عينيه، وألقى نظرة على «أحمد» و«جان ديماس» ... كانا يتجاذبان حديثًا، سمعهما يقولان.

وكان «جان ديماس» هو المتحدث الأول: سوف أدعوكما لفندق بديع على شاطئ مضيق «روفر»، إنَّه فندق صغير هادئ ... أنزل فيه دائمًا!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: هذا كرم شديد منك يا سيدي!

ابتسم «جان ديماس»، وقال: إنني سعيد هذه الأيام ... فقد عقدت صفقة طيبة ... ربحت منها ربحًا جيدًا ... وهذا ما يجعلني آتي إلى «أوستند» لقضاء بعض الوقت.

لم يُعلِّق «أحمد»، فقال «جان ديماس»: أمَّا «جاك جرين» فسوف نذهب إليه في المساء، إنَّه يسكن في بيت رائع على شاطئ «روفر» أيضًا، ولا يبعد كثيرًا عن الفندق ... وسوف نسهر معه سهرة طيبة، وتسمعان منه ما تريدان ...

ابتسم «أحمد» وقال: إنني وصديقي «برايت» نُكرر شكرنا العميق ... لهذا الفضل منك!

ابتسم «جان ديماس»، وهو يقول: هذه كلمات طيبة، تذكرني بكلمات كنت أسمعها من صديقي العربي ... كلمات مثل الشكر العميق والفضل.

هبطت الطائرة في مطار «أوستند»، واستقلُّوا تاكسيًا إلى المدينة ... كانت روائح البحر تبدو نفَّاذة، مع رياح خفيفة منعشة في هذا الوقت من النهار، كانت المدينة تبدو من بعيد وكأنَّها تغرق في البحر، وعندما وصلوا إليها ... قال «جان ديماس» في فرح: هذه مدينتي العزيزة!

اتجه التاكسي إلى الشاطئ، عندما قال «جان ديماس»: فندق «روفر»!

وعندما وصلوا إليه، قال «أحمد» مبتسمًا: إنَّه يبدو كلوحة رائعة.

ضحك «جان ديماس»، وقال: هذا وصف بديع.

عندما وصلوا إلى الفندق، حدثت أول مفاجأة ... كانت سيدة عجوز تقف عند الباب، ما إن رأت «جان ديماس»، حتى صاحت: أهلًا «دان» ... إنَّك لم تَغِبْ كثيرًا هذه المرة!

ابتسم «جان ديماس»، وهو يقول لهما: إنَّها تداعبني دائمًا، وتنطق اسمي «دان» وليس «جان ديماس».

غير أنَّ ذلك الاسم رنَّ في سمع «أحمد» و«فهد»، مما جعلهما يشعران أنَّهما يقتربان من النهاية فعلًا ... رحَّبت بهما السيدة، فقال «جان ديماس»: «سترونج» و«برايت» ينزلان في ضيافتي يا عزيزتي «ماريا».

أعادت السيدة ترحيبها بهما ... فقال «جان ديماس»: هيا إذن، فلنسترح قليلًا ... ثم نلتقي على الغداء.

ثم نظر إلى «ماريا»، وقال: سوف نأكل العديد من أصناف السمك.

وضحك ضحكة عريضة ... عندما دخل «أحمد» و«فهد» الحجرة، هَمْهَمَ «أحمد» ببعض الكلمات، وهمس «فهد»: ماذا تقول؟

ردَّ «أحمد»: إنَّ هذه أول خطوة في الطريق إليه.

ابتسم «فهد»، وقال: بل إنَّها خطوة قبل الأخيرة، وليست الأولى!

في المساء، قال «جان ديماس»: الآن ينبغي أن نذهب إلى صديقنا «جاك جرين».

ثم أضاف مبتسمًا: إنَّه أيضًا يناديني باسم «دان»!

كان ذلك كافيًا ... ليعرفا أنَّ «جان ديماس» هو «دان» فعلًا، وإن أجَّلا ذلك حتى لقاء صانع الماس «جاك جرين» ... وقال «جان ديماس»: سوف نذهب إليه سيرًا على الأقدام ... فهو لا يبعد كثيرًا!

كان لون السماء الرمادي يجعل للمكان رونقه المميز، خاصة مع صوت الموج ... وهو يضرب الشاطئ في رفق ... كانت لحظة هادئة فعلًا ... وإن كانت أعماقها مشحونة بالانفجار ... بعد السير مسافة قليلة، وصلوا إلى فيلا صغيرة، تُطِلُّ على الشاطئ مباشرة ... ضحك «جان ديماس» وهو يقول: إنني أسميه «شاطئ الماس»، فهنا الشاطئ، والماس في الداخل!

ضحك «أحمد» و«فهد»، وعلَّق «أحمد» وهو ينظر إلى «فهد»، نظرة ذات معنى: إذن، سوف نسمي الكتاب «شاطئ الماس».

صاح «جان ديماس»: إنَّها فكرة رائعة ... وهذا اسم رائع.

دقَّ «جان ديماس» جرس الباب ... فجاء صوت عجوز يقول: من بالباب؟

تردَّد «جان ديماس» لحظة، لم تفت «فهد» و«أحمد»، ثم قال ضاحكًا: إنني «دان»!

فُتح الباب، وظهر «جاك جرين» العجوز صائحًا: لقد جئت في موعدك تمامًا يا عزيزي «دان»!

ثم نظر إلى «أحمد» و«فهد»، وسأل: هل هما ابنا سيدك الثري العربي؟

اصطنع «جان ديماس» ضحكة وهو يجيب: إنَّهما صديقان!

ثم أضاف: صحفيان جاءا من أجل لقائك.

دعاهم الرجل إلى الدخول، وهو يقول: مَرْحَى ... مَرْحَى ... إنَّ الصحافة تهتم بي كثيرًا هذه الأيام ... فمنذ مدة قصيرة جاءني صحفي من مجلة اسمها ...

ثم تذكر قليلًا، وقال: «لوك» ...

قال «أحمد»: لقد قرأت ما كُتب فيها عنك.

صاح «الرجل»: إذن لقد أصبحت مشهورًا ... إنني لم أرها بعد.

ابتسم «أحمد»، وقال: سوف أحضرها لك غدًا.

نظر «جاك جرين» إلى «جان ديماس»، وقال: طبعًا تريد ماستك أولًا.

ثم اختفى، وهو يقول: اجلسوا، إنني لن أغيب.

جلس كل منهم في مقعد ... فقال «جان ديماس» ضاحكًا: رجل ظريف، أليس كذلك؟

قال «فهد»: جدًّا ...

عاد «جاك جرين» بعد لحظات، وبيده قطعة من القطيفة الحمراء ... يمسكها بعناية ... ثم توسَّط المكان، وهو يقول: هيَّا، تعالوا وشاهدوا أجمل ماسات العصر!

اقترب «أحمد» و«فهد»، بسط قطعة القطيفة، فظهرت خمسُ ماساتٍ رائعة، نظروا إليها بدهشة ... بينما كان صانع الماس يقول: سوف يفرح سيِّدك الثري بها!

مدَّ «جان ديماس» يده ... إلا أنَّ يد «أحمد» كانت أسرع إليها ... حتى إنَّ «جان ديماس» نظر إليه في دهشة، وهو يقول: ما هذا؟! ...

فجأة ... كان «فهد» قد أمسك بذراعه في قوة ... ثم لواه إلى الخلف، ظهر الألم على وجه «جاك ديماس» ... بينما كان «أحمد» يقول: أنت «دان سيجلاس» خائن سيده العربي، وسارق الماس!

ظهر الفزع على وجه «دان»، لكنَّه في حركة بارعة، كان يلفُّ حول نفسه، وضرب «فهد» ضربة قويَّة ... إلا أنَّ «أحمد» كان أسرع إليه ... فوجَّه إليه ضربة قوية، جعلته يتراجع قريبًا من الباب ... وعندما وضع يده ليفتحه في محاولة للهرب ... كان «أحمد» قد قفز وراءه قفزة واسعة ... فأغلق الباب عليه ... ضغط «أحمد» على الباب بقوة، فصرخ «دان» من الألم ... فجأة ترك «أحمد» الباب، وجذبه بقوة، فاندفع إلى داخل الصالة، تلقَّاه «فهد» بضربة قوية، جعلته يسقط على الأرض، كان «جاك جرين» ينظر إلى ما يدور في دهشة، غير أنَّ «أحمد» شرح له كل شيء ... فهمس: يا إلهي، «دان» خائن!

جمع «أحمد» الماسات ... فأسرع «جاك جرين» بإحضار علبة أنيقة، ووضع فيها الماسات الخمس، وهو يقول: إنني سعيد بكما.

ودَّعاه وخرجا، وهما يدفعان «دان» أمامهما، بعد أن قيَّدا يديه خلف ظهره، وأسلماه إلى الشرطة ... في نفس الوقت، أرسل «أحمد» رسالة لرقم «صفر» يخبره فيها بنجاح المغامرة ...

وجاءه الرد: أهنئكما ... عودا سريعًا ... فهناك عمل آخر.

وعندما جاءتهما رسالة رقم «صفر»، غرقا في الضحك ... فقد كانت هناك مغامرة أخرى جديدة.

هنـــداوي